اللبني فتجحت ايضاً . ولا بدَّ من اقتصار المريض على اللبن غذاء والانقطاع عن غيره من الاغذية على كل حال

اما تأثير الحلَّة في الرمل البولي والحصى الكلوية فيفسَّر بامرين اولهما ان الحلَّة تمنع تكوُّن الرمل بما فيها من الاملاح والآخر انها تسكِّن الالم الشديد الذي يحدث في مجاري البول في الكليتين والحالبين بما فيها من الخلين الذي هو جوهر مسكِّن كالجواهر المخدِّرة كما ثبت بالتجارب. وبسبب وجود المادَّة الراتنجية في الحلَّة يتلطَّف نتيجُ مجاري البول في هذا المرض . هذا وسنذكر نفع الحلَّة في معالجة امراض أُخرى متى تأكَّدنا نجاحها وبالله التوفيق

تاريخ الاجتماع الطبيعي

لجناب الدكتور شبلي شميل

تشابه الجسم الحي وجسم الاجتماع في الاخلاق

بيَّنا في الجزء الماضي المشابهة بين جسم الاجتماع والجسم الحيّ من حيث التكوين الطبيعي اعني من حيث الخَلْق ومرادنا الآن ان نبيِّن هذه المشابهة بينهما من حيث الافعال او القوى اعني من حيث الاخلاق . ويظهر لاوَّل وهلة ان تبيين هذا اصعب جدًّا واصعب مما تقدم ولا سيما لمن ينظر الى الاشياء نظرًا سطحيًّا غير معتبر ما بينها من النسبة والارتباط ولكنَّ مَنْ لا يذهل عن تلك النسبة وبالم يستعظم الصعوبة هذا الاستعظام

قال الذين يقيمون حدًّا فاصلاً بين الاجتماع والجسم الحي ان افعال اعضاء الاجتماع مغايرة في نوعها لافعال اعضاء الجسم الحي اعني ان افعال اعضاء الحي ترتبط بعضها ببعض ارتباطًا فيزيولوجيًّا واما افعال الاجتماع فانها ترتبط بعضها ببعض بالحس والافكار اي برباط عقلي وقال غيرهم ان افعال الفريقين من نوع واحد لان الكريَّات الحيَّة التي هي اجزاء الحي اي اعضائهُ ليست عديمة الحس بل بالضد من ذلك هي ذات حس ايضًا اذ الحس الذي في الجسم الحيّ كلهِ انما هو هذا الحس عينهُ في حال التفرُّد والتجمُّع . فارتباط اعضاء الحي بعضها ببعض ليس بالحصر فيزيولوجيًّا بل فيه شيء من العقل ايضًا وان يكن في حالة دنيئة جدًّا واذا يعتبر ارتباطًا عقليًّا. وهذا ما يجعل علم الاجتماع المعروف بالسوسيولوجيا داخلاً في علم الحياة المعروف بالبيولوجيا . وليس في هذا القول شيء من الغلوّ والتكلف لان الحدود المميزة بين العلوم المختلفة

كالحدود المميّزة بين مواليد الطبيعة صناعيّة لا طبيعية

واذا تأمّلنا حقيقة الرابط الذي يربط كل اجتماع مهما كان هذا الاجتماع بين كريّات الجسم الحي او بين افراد الحيوانات او البشر وجدنا انهُ واحدٌ في الاصل فالرابط بين الكريات الحيّة التي يتألف الجسم الحي منها ليس الاّ الميل البسيط المغروس في كل شيء لحفظ ذاتهِ اولاً لان كل شيء في الاصل يدور حول مركز نفسهِ بالشوق الحاصل فيهِ اليهِ وذلك هو محبة الذات المنفردة . ثم يتحوّل هذا الميل في الكريات الى ميل مركب لحفظ ذاتها بحفظ ذات سواها لان اجتماعها بعضها مع بعض اجتماعاً بسيطاً في اوّل الامر لا بدّ من ان يؤثّر في طبيعتها تأثيرًا مهمًّا بحيث تصبح حياة بعضها متوقفة ضرورةً على حياة البعض الآخر . فالكريّة حينئذٍ لا تميل لحفظ ذاتها فقط بل لحفظ علاقتها مع سواها ايضاً لان كل شيء في الفرع يدور حول مركز غيرهِ بالشوق الحاصل فيهِ الى مركز نفسهِ وذلك هو محبة الذات المشتركة ثم تتحوّل هذه المحبة المشتركة العياد الى محبةٍ مشتركةٍ عاقلة في اعضاء الاجتماعات التي لها قوة الادراك لا الحس والتعجّ فقط

واختلفوا في سبب هذه المحبة العاقلة بين الحيوانات المدركة فذهب قوم وفي مقدمتهم سبينوزا الى انها مسببة عن اللذّة الحاصلة لهذه الحيوانات من مشاهدة صورها في امثالها بناء على ان اللذة قائمة بسهولة الفعل قالوا واسهل الافعال على الحيوان استحضار صورة على صورتهِ كما هو مقرّر من ان الاستحضار لا يتمّ بواسطة الدماغ وحدهُ بل بواسطة كل الجهاز العصبي . ولهذا كان الحيوان المدرك اذا اراد ان يتصوّر هيئةً او ان يتذكّر صوتاً يشرع في ان يقلّد تلك الهيئة ويحاكي ذلك الصوت ولا ريب ان الحركات والهيئات والاصوات المتعود عليها هي اسهل عليهِ من سواها مما لم يتعوّدهُ . وكلما كانت عنهُ ابعد كان استحضارها عليهِ اصعب فيولّد فيهِ الكراهة لها ولذلك كان الفرد يرتعب جدًّا من رؤية الحرباء . فاذا تكرّرت هذه اللذة اشتد الشوق لتجديدها حتى ينقلب الشوق مودّة وتصير المودّة غريزية بعد ان كانت عقلية . فتنتقل بالوراثة وتؤثر في الاعضاء بحيث يصير الاجتماع معها ميلاً غريزيًّا فيولّد الحيوان المدرك وصورة المثالي منطبعة على دماغهِ كما يولّد الطائر وصورة العش منطبعة على دماغهِ ويشتد هذا الميل بالانتخاب الطبيعي حتى يحصل الاجتماع اخيرًا بالسليقة الغريزية

وذهب غيرهم وفي مقدمتهم داروين الى ان هذه المحبة سببها المنفعة وردّ عليهم اصحاب القول الاوّل بانهُ مسلّم ان الحي لا يحفظ صفةً ان لم يكن لهُ منفعة منها ولكن قد يحدث اولاً ان تنشأ هذه الصفات عن اسباب غير المنفعة . فان الطائر المعروف بالابتر (Bal-chon) مثلاً اذ يكون على الارض يصطفّ بحسب سنّهِ الصغار في جانب والكبار في جانب والاناث في جانب

وتطرد كلُّ عنِ اللذة الأخرى عنها والظاهر ان ذلك حاصلٌ فيه عن لذة اجتماع المثل بمثلهِ لا عن سببٍ آخر. وثانيًا ان تكون الصفة النافعة في الاحوال العامة مضرّةً في بعض الاحوال الخاصة فتعشيش بعض انواع الطيور مثلاً بالقرب من مساكن البشر غير مفيد لهُ وكذلك اجتماع البيغاء وصراخها حول ما يقتل منها غير مفيد لها وقس عليهِ. فالميل الاجتماعي هنا لم يتمّ بالنظر الى منفعتهِ لانهُ قد يبقى هو ولا تبقى منفعتهُ وانما بالنظر الى اللذة الحاصلة للمثل من مثلهِ. وإذا دققنا النظر نرى ان اللذة والمنفعة مرجعهما الى الموافقة بالمطابقة والموافقة بالمطابقة اعمُّ فقد تكون اللذّة وقد تكون المنفعة وقد تكون سواها. وهذه الموافقة لا تكون لجميع الاحوال بل لغالبها والصفات المكتسبة عنها ترسخ حتى يعرض لها على مرّ الزمان ما يغلبها ويحوّلها عن حالها. ولذلك كانت الصفات المكتسبة غريزيةً او بديهيةً تبقى زمانًا طويلاً ولو زالت المنفعة كما في المثال المتقدّم ذكرهُ

ولنعُد الى ما نحن بصددهِ فنقول قد ظهر ان المشابهة بين جسم الاجتماع والجسم الحي من حيث ارتباط اعضاء كلٍّ منها بعضها ببعض تشابهة تامّة لان الرابط الذي يربط كلاًّ منها هو واحد في الاصل وهو الشوق الاعمى الحاصل في المثل الى مثلهِ ثم يعقب ذلك في الاجتماع الحيواني تقسيم الاعمال والتعاون وذلك شيءٌ ايضًا باختصاص الوظائف في الجسم الحي. ولا يخفى ان اختصاص الوظائف في الجسم الحي كلما تمادى معهُ خضوع الاعضاء بعضها لبعض حتى يختص السلطان الاعظم بواحدٍ منها (او باكثر من واحد ولكن بقاء الواحد) الى ان تصير حياة هذا الواحد بمقام الكل كالدماغ في الجسم الحي المرئي وهذا موجود في الاجتماع الحيواني ايضًا فان الحيوانات المجنّحة والصفيقة الجلد والقرود يكون لكل جماعة منها رؤساء تسود على الكل كما يسود الدماغ في الحي على سائر اعضاء البدن ثم يقوى سلطان هذا الرئيس حتى يصير موضوع اعضاء الكل. ويتضح ذلك في جسم الاجتماع الحيواني اكثر مما في جسم الحي نفسهِ لان اعضاء جسم الاجتماع الحيواني يكون في تعاونها وخضوعها من الادراك والاختيار ما لا يكون في اعضاء الجسم الحي. فالرئيس في الاجتماع الحيواني كثيرًا ما يستغرب اليهِ انتباههُ بالتمييز وهو غير فاعل عمّا لهُ عندها من رفيع المقام وما عليهِ لها من المسئولية ايضًا فقد حكى برڤم ان ملك القرود يجتمع حول الفرد الشيخ ويبذلن العناية في تقليتهِ من القمل فيطيب نفسًا بذلك ولكن لا تأخذهُ غفلة عن مصلحة الجمهور فهو دائمًا يتطلع بجيل عينيهِ من مكان الى مكان ويصعد من وقت الى آخر الى رأس شجرة عالية ليستكشف ما في الجهات المجاورة ثم يخبر سائر القرود بنتيجة استكشافهِ سليمة كانت او غير سليمة باصوات خصوصية مفهومة عندها. وهذه الافعال التي تربط افراد الاجتماع الحيواني وهي تقسيم الاعمال واختيار المثال هي الرابطة لافراد الاجتماع البشري ايضًا وهذا يدلنا على ان في

الحيوان جرثومة ما هو تام جدًا في الانسان كما ان في الكريات الحية نفسها جرثومة ما هو تام جدًا في الحيوان

فالاجتماع الحيواني هو جسم حي تعاون اجزاؤه كلها كما يقول ابنقراط وتؤلف كلاً حيًا يتعاون تارةً في اعمالٍ مشتركة كتعاون النمل في بناء بيوته وبعض انواع الطير في بناء اعشاشه وتارةً في اعمالٍ خاصة مما يدل على محبة حقيقية بين اعضائه كمعاونة الفرود بعضها بعضًا لنزع الشوك من جلدها واجتماعها على حجر كبير لكي تقلبه وانتصار بعضها لبعض لدفع نازلة ولو كان في ذلك خطر على حياة المنتصر. وقد تبلغ هذه المحبة فيه الى حدّ الاخلاص الشديد الذي هو من اخص صفات البشرية وارفعها شأنًا فقد ذكر برڤم ما يثبت ذلك في القرود قال "بينا انا واقف سمعت فوق رأسي صراخ قرد فنظرت واذا قرد صغير على شجرة قد تركته امه وهربت مذعورة فصعد اليه احد انباتي فلما ابصرهُ القرد صرخ صراخًا شديدًا فللحال جاوبته امه وارتدّت لتأخذه فصرخ حينئذٍ صرخة ثانية خصوصية جاوبته امه عليها بصرخة خصوصية كذلك فرماها احد الواقفين بالرصاص فانجرحت ورولّت هاربةً لكن صراخ ابنها لم يدعها تبتعد كثيرًا حتى رجعت اليه فرُميت ثانيةً بالرصاص فأُخطئت ولكن ذلك لم يمنعها من ان تثب الى الغصن بعد عناء عظيم فلما وصلت الى ولدها اسرعت فوضعته على ظهرها واوشكت ان تبتعد به واذا برصاصة ثالثة أُطلقت عليها رغمًا عن ممانعي فكانت الناضية ومع ذلك لم ترمِ بولدها الى الارض بل ضمته الى صدرها وهي تجود بالروح حتى قضت نحبها وهي تحاول ان تهرب به". وقال ايضًا "ان قردًا اشخاصهم على الكلاب هجمة الاسود لكي يخلّص قردًا صغيرًا من بين انيابهم وما ارتدّ عنها حتى رجع به وقد حمله على منكبه" فلا شك ان المبدأ الباعث على هذه الافعال يقرب جدًا من مبدإ اخلاق الانسان لا نقول في انسان مثل ارسطو ويوتن مثلاً بل في متوحش او طفل صغير ثم يتحوّل هذا المبدأ من الشوق الاعمى في الكريّات الحية الى بديهيّات الحيوان الى معقولات الانسان حتى يكمل في الاجتماع البشري فيصير الذوق محبةً والمحبة اخاء والاخاء تعاونًا والتعاون عدلاً وتعيين الوظائف الرفيعة وانتخاب الرجال لها حكومة فتكمل حياة الاجتماع العقلية كما تكمل ايضًا حياته الفيزيولوجية

على ان سبنسر الفيلسوف الانكليزي لا يرى هذا الكمال في حياة الاجتماع الفيزيولوجية لانه يقول ان في الحيوان جهازًا عصبيًا هو مركز الاعمال العقلية واما في العمران فليس يوجد ما يشبه ذلك. وردّ عليه بعضهم بقوله بل ذلك موجود ايضًا فان ادمغة الامة بمثابة الدماغ. وان العواطف والحواس والنطق وسائر العلامات والكتابة والانغراف وكل وسائط الاتصال بمثابة

الاعصاب التي تنقل الحس وتوصل الحركة الى كل اجزاء البدن. وان الاعصاب بمثابة العقد العصبية التي هي عبارة عن ادمغة صغيرة يجتمع الحس فيها وينوى. والمدن بمثابة الفقرات والعاصمة من المدن بمثابة الرأس الذي هو فقرة عظمت حتى سادت على سواها . والعلماء والحكماء وكل الذين يرشدون الامة هم بمثابة الكريات المرتقية في الدماغ الذي هو نفسه لا يزيد عن عقدة عصبية عظمت على سواها كما عظم الرأس على سائر الفقرات . فان كان اشتراك كل اعضاء العمران بالفكرة يجعل العمران ارفع جداً من سائر الاحياء فهذا الارتفاع لا يجوز ان يكون فرقاً جوهرياً كفرق الاحياء نفسها عما هو دونها . وعليه ففي الجسم الاجتماعي جهاز عصبي لوظائف النفسية كما فيه جهاز دوري وجهاز غذائي فهو حيٌّ تام لا ينقصه شيء فيزيولوجياً

لولا الهوى وبديعُ الشوقِ يهديهِ ما صحَّ في الكونِ معنًى من معانيهِ
ولا سرى النجمُ في العلياء وانتظمت مواقعٌ لهُ تُقصيهِ وتُدنيهِ
ولا استقامت حياةٌ في الوجودِ ولا تمَّ الوجودُ ولا تمَّت مبانيهِ
شوقٌ تكاملَ من ادنى الوجودِ الى أعلى فأعلى الى أعلى أعاليهِ
حتى تناهى وقلبُ المرءِ تُلهبهُ نارٌ من الحبِّ يُذكيها وتُذكيهِ
نارٌ من الشوقِ في قلبِ المشوقِ توَتْ تذكو فيُصلى ويغذيها فتُفنيهِ
ما زالَ والنارُ تذكو في جوانبهِ حتى تناهى بما قد كان يجبيهِ

جات ومذهب تغيُّر الانواع

لا يخفى ان كوفيه وجفروا سنتيلير كانا من مشاهير العلماء في طبائع الحيوان غير انه كان لكلٍّ منهما مذهب في علمه مضادٌّ لمذهب الآخر فكان كوفيه يذهب الى ان انواع الحيوان والنبات ثابتة لا تتغير واما جفروا فكان يقول بتغيرها الى ما لا حدَّ له . فحصلت بينهما بسبب ذلك مناقشة مهمة في المجمع العلمي بباريز سنة ١٨٣٠ ذاع خبرها واشتهر في كل اوربا . ولما بلغت مسامع جات الشاعر الالماني الشهير وكان من مذهب جفروا ورأيه طرب طرباً عظيماً كما يستدل مما رُوي عنه وهو في سن الحادية والثمانين من عمره قال مُورَت " زرتُ جات في بيته بعد ظهر يوم الاحد في ١٢ آب (اوغسطس) سنة ١٨٣٠ وكانت جرائد ذاك النهار قد أفاضت الخواطر بما نشرته عن شبوب نيران الثورة المعروفة بثورة تموز (يوليو) فاول ما ابصرني بادرني بقوله ما قولك فقد احتدمت النار وعلا سعيرها حتى لم يعد اطفاؤها في الامكان . فاجبته بقولي الظاهر

ان الخطب جسيم ولا بدّ في مثل هذه الوزارة من طرد الملك وعائلته. فقال لي على الفور يظهر انك لم تفهم مرادي فانا لم اعنِ هؤلاء الناس بما قلت وانما عنيت به امرًا آخر يهمّ العلم جدًا وهو المناقشة التي حصلت في المجمع العلمي بين كوفيه وجفروا سنتيلير فحرت في امري ولم اعلم بماذا أجيب وبدا الاضطراب على وجهي اما هو فلم يصمت بل قال ان هذا الامر عظيم الاعتبار ولا تقدر ان تتصور ما احاط بي من السرور عند اطلاعي على اعمال جلسة ١٩ نوفمبر (بوليو) فجفروا سنتيلير عضد قوي لا يتخلى عنا وارى رجال العلم في فرنسا مهتمين جدًا لذلك فان قاعة المجمع كانت غاصّة بالعلماء مع ما في امور السياسة من الارتباك واخلق من ذلك بالاعتبار ان الطريقة النموذجية التي ادخلها جفروا سنتيلير في التاريخ الطبيعي لم يعد ابطالها او كتمانها في الامكان بعد اشتهارها في تلك المناقشة في المجمع العلمي" انتهى ش. ش

المصريّون القدماء

لجناب الدكتور يوحنا ورتبات

عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع الامراض الوافدة في لندن وطبيب مستشفى امراء مار يوحنا في بيروت

اتينا في المقالة السالفة على طَرَف من جغرافية مصر وتاريخ ملوكها وبعض الحوادث المشهورة في تاريخها ووعدنا هناك ان نستطرد الكلام الى كتابة المصريين القديمة وديانتهم وكهانهم وهياكلهم فنقول

ان ما اتصل الينا من علوم المصريين وصنائعهم وعوائدهم منقوش على المباني التي شادوها والآثار التي ابقوها بخطٍّ يسمّى الخط الهيروغليفي. وهذا الخطّ كان في الاصل صورًا بعضها يدلّ بالصورة على الشيء المراد التعبير عنهُ وبعضها بالكناية كرسم الدائرة او القرص المستدير ● مثلاً (مقرونًا بالاشعّة او خاليًا منها) للدلالة على الشمس والنهار فدلالتهُ على الشمس دلالةٌ بالصورة ودلالتهُ على النهار دلالةٌ بالكناية كما لا يخفى. وكدلالة الهلال ☾ على القمر وعلى الشهر فدلالتهُ على القمر بالصورة وعلى الشهر بالكناية ثم صاغوا حروف الهجاء من هذه الصور بان جعلوا صورة الشيء علامةً على اوّل حرفٍ في لفظهِ عوضًا عن ان يجعلوها علامة على الشيء نفسهِ فالشكل الاهليلجي المستدق من جانبيهِ هكذا ○ كان اولاً علامة عندهم على الشهر ثم